





العدد رقم (64) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد

محور العدد: مسالة المجتمع المدنى

''المجتمع المدنى'' كمفهوم مخترق إمبريالياً

إبراهيم علوش

مقدمة:

هناك من يعود بمفهوم المجتمع المدني إلى الفلاسفة اليونانيين مثل سقراط وأرسطو أو الروماني سيسرو، أو إلى فلاسفة عصر التنوير مثل توماس هوبز أو جون لوك، أو إلى هيغل أو ماركس في القرن التاسع عشر أو غرامشي في القرن العشرين، في محاولة للإيحاء أنه مفهومٌ قديمٌ قِدَم الفكر والحضارة ذاتها، أو للإيحاء على الأقل أن جذوره تضرب عميقاً في تاريخ الفكر المتنور، كأنه حقيقة بديهية من العبث نكرانها أو المجادلة بشأنها، وربما يكون ذلك صحيحاً أو خاطئاً، كما أنه يمكن أن يكون صحيحاً بالنسبة لأي مفهوم سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي آخر أكثر تجذراً في تاريخ الفكر، مثل "الدولة" أو "المجتمع" أو حتى "السوق"، سوي أن مثل ذلك التأصيل التاريخي لفكرة المجتمع المدني بات اليوم "دليلاً تاريخياً" على أصالة "المجتمع المدني بات الدول المركزية عموماً، والدول والحركات المستقلة عن الإمبريالية خصوصاً، الدول المركزية وقيمها كمنظومة عالمية.

ما يروّج اليوم عن المجتمع المدني كتعريف هو أنه "القطاع الثالث"، أي كل ما ليس دولة أو سوق، وبحسب "البنك الدولي" على موقعه على الشبكة العنكبوتية، فإن منظمات المجتمعية، والمنظمات غير الحكومية، والنقابات العمالية، ومجموعات السكان الأصليين، والجمعيات الخيرية، والمنظمات المدنية" (1).

والحقيقة أن توصيف هذا القطاع كـ"قطاع ثالث، غير الدولة ومؤسساتها وأجهزتها، وغير السوق، فيه الكثير من التضليل بالنظر إلى أمرين:

الأمر الأول، أن الممول الرئيسي لمنظمات هذا القطاع الثالث حول العالم هو الدول الإمبريالية عبر وكالات مثل الـUSAID التابعة للحكومة الأمريكية (وقد بلغت موازنتها عام 2016 مثلاً أكثر من 27 مليار دولار) و EuropeAid أو وكالة التنمية والتعاون الدولي التابعة للمفوضية الأوروبية، وكذلك الصناديق الضخمة المستندة إلى شركات متعدية حدود عملاقة مثل Ford Foundation

طلقة تنوير 64: مسألة المجتمع المدني

المجلة الثقافية للانحة القومي العربي... عدد 1 أيلول 2019

 - "المجتمع المدني" كمفهوم مخترق إمبريالياً/ إبراهيم علوش

- عندماً يُخترَل المشروع "الوطني الديموقراطي" إلى مشروع "مجتمع مدني": نقد قومي للظاهرة/ عبدالناصر بدروشي

- الجيوش العربية والديمقراطية: رد على دعاة المجتمع المدني/ بشار شخاترة

- تسويق مبكر للملياردير المخرب "جورج سوروس".. على طريقة مصطفى محمود/ السيد شيا

. - صناعة الماضي كمعزز للهويات المتخيلة (الجزء الأول)/ فارس سعادة

- الإسلام السياسي كوجه آخر لمشروع التفكيك المجتمعي والسياسي/ كريمة الروبي - الصفحة الثقافية: نظرة على المسرح السياسي العربي/ طالب جميل

- قصيدة العدد: "سأظل أفخر أنني عربي" لجوزيف حرب

- رسم العدد: التمويل الأجنبي

#### لمتابعتنا انظر

لمتابعتا على فيسبوك، ابحث عن: لائحة القومي العربي/ الصفحة البديلة

ر و ابط صديقة.

موقع الصوت العربي الحر www.freearabvoice.org

راسلنا على: arab.nationalist.moderator@gmail.com



العدد رقم (64) صدر في 1 آبلول عام 2019 للميلاد

التابعة لعائلة فورد مالكة شركة السيارات الأمريكية بالاسم ذاته، أو مثل Rockefeller Foundation التابعة لعائلة روکفلر، ومثل مؤسسـة جـورج سـورس -Open Society Foun dations و هي أكبر وأهم من مؤسستي روكفلر أو فورد، ومثَّل مؤسسة بيـل غيتـس Bill & Melinda Gates Foundation وهي الأهم عالمياً على الإطلاق، وتبلغ قيمة أصولها أكثر من 51 مليار دولار.

أفليس مـن المستغرب أن نسـمي القطـاع الـذي يعيش فعليـاً علـي أنبوب التغذية النابع من خز آئن الدولِ الغَرِبية والمؤسسات التَّابِعَة لأكبر الشركات الدولية "قطاعاً ثالثاً"؟! ولماذا تعني الدول الغربية وشركاتها الكبرى بدعم مثل هذا "القطاع الثالث"؛ أي ما هي مصلحتها في ذلك؟ فإذا كان المجتمع المدنِّي قطاعاً ثالْثاً غير الدول والسوق، يفترض أنه يعني بالدَّفاع عنَّ حقوق المواطنين إزاءهما، فهل تدعمه الدول الغربية واحتكارات السوق الدولية ضد ذاتها، أم ضد من بالضبط؟

من البديهي أن المنظومة الرأسمالية الغربية القائمة على تحقيق أقصى الأرباح، والتي خاضت حروباً خارجية وداخلية ضارية ودموية دمرت فيها شعوباً وبلداناً بأكلمها لتثبيت هيمنتها، ولمراكمة رأسيمالها، ولا تـزال، لـن تقـوم بتوزيـع عشـرات

المليارات جزَّافاً حول العالم بدوافِعَ خيرية أو إنسانية نقية، فلا بد إذن من استراتيجية أو برنامج خلف مثل هذا الدعم تخدم المصلحة الاستراتيجية لرأس المال المالي الدولي.

المفكر الألماني هيغل عبّر أصدق تعبيرِ في كتابه "عناصر فلسفة الحق" (1820) عن مفهوم المجتمع المدني باعتباره حالة وسيطة بيّن العائلة والدولة، يشمل حيز السوق، فالمجتمع المدني عنده هو عملياً منتج رأسمالي، يقوم علّى الإرادة الحرة (التي تكون مقيدة في ظل الاقطاع)، وبالتالي على حقوق الملكية والعقود والنظام القانوني الذي تصبح فيه الدولة رَاعياً للمجتمع المدني ومحكمًا للصرّاعات الأنانية التي لا بد أن تنشِّأ فيه لا محالة (2). فالمجتمع المدني عند هيغل إذن هو القطاع الخاص فعلياً، المندمج في الدولة، فهو اليس قطاعاً ثالثاً ولا من يحزُنون، بل قطّاعٌ ثان متممّ

رفض ماركس من جهته، في نقده لفلسفة الحق عند هيغل (1843)، في الجزء الثالث من الكتاب الذي يتناول فيه فكـرة المجتمع المدنـي، مثـل هـذا الفصـل الميتافيزيقـي بيـن الدولـة والمجتمـع المدنـي، بنـاء علـي فر ضيـات هيغـل ذاتهـا، معتبراً أن الطَّبقة البرِّجوازية تحكم المجتمع المدنيّ من خـلال الدولـة، وأنّ الدولـة التي تحكمها الطبقـة البرجوازيـة لا يمكن أن تكون حَكَماً محايداً في المجتمع، وكان ماركس في الخامسة والعشرين من عمره آنذاك، وقد تنبأ بحتمية زوال الفرق بين الحيز العام (الدولة) والحيز الخاص (المجتمع المدني) في المستقبل البعيد للأستراكية (3). ولم يعد ماركس في زمنه إقضية المجتمع المدني عند ماركس ليس قطاعاً ثالثًا أيضاً، بل قطاع أولُّ تشكل الدولة كقطاع ثانٍ امتداداً له.

عاد مفهوم المجتمع المدني للتداول بعد أنطونيو غرامِشي في النصف الأول من القرن العشرين، لكن حتى غرامشي انطلق من ماركس، فاعتبر المجتمع المدني تعبيراً مباشراً عن الهيمنة، هيمنة الطبقة البرجوازية على السياسة والاقتصاد والثقافة، لكنه رأي أن الدولة تحكم بالقوة، بالعنف أو بالقانون، لمصلحة الطبقة البرجوازية، أما المجتمع المدنى فينتج الثقافة والأيديولوجيا التي تتيح للبرجوازية أن تحكم بالإذعان، ومن هنا اعتبر غرامشي أن المجتمع المدني هـو سَّاحة صَّراع ثقافي وأيديولوجيَّ، لا سياسي واجتماعي فحسب، بيـن تكتـل تحـرري مناهـض للهيمنــة الرأسـمالية،



وبين الرأسمالية وأدواتها الفكرية والثقافية، أي أن المجتمع المدني عند غرامشي لم يوضع في مواجهة الدولة، بل وضع أولاً في انقسام داخلي لا بد من إحداثه في مواجهة هيمنة البرجوازية المدنية الثقافية والأيديولوجية عليه، أي أن مشروع غرامشي كان الحرب الأهلية الثقافية (والسياسية) داخل المجتمع المدني، فهو لم يكن يرى حدوداً فاصلة كبرى بين الدولة والمجتمع المدني البرجوازيين ما عدا ذلك، تماماً كماركس، بل ضمن المجتمع المدني ذاته الذي لم يره كلاً واحداً (4).

كل ما سبق على قدر كبير من الأهمية من ناحية تاريخية في الواقع، أكثر مما هي أيديولوجية، أي بغض النظر عن موقف القارئ من هيغل وماركس وغرامشي، لكي نرى كيف تمت عملية اختطاف مفهوم المجتمع المدني ليلوى عنقه ويتم توظيفه منهجياً في مواجهة الدول الاشتراكية والدول المستقلة عن الإمبريالية، ابتداءً من ثمانينيات القرن العشرين. وهو ما يقودنا للأمر الثاني الذي يدعو للنظر بعين الريبة الشديدة لمقولة المجتمع المدني ك"قطاع ثالث". ونلاحظ في هذا السياق على موقع "المنتدى الاقتصادي العالمي"، أي منتدى "دافوس"، وهو يعد منظمة "مجتمع مدني" تضم ممثلين لأكبر ألف شركة متعدية للحدود، مادة بعنوان "من وما هو المجتمع المدني؟" تقول ما يلي:

"أصبح تعبير المجتمع المدني شائعاً في النقاشات السياسية والاقتصادية في الثمانينيات، عندما بدأت تُعرف به الحركات من غير الدول التي كانت تتحدى الأنظمة الاستبدادية، لا سيما في أوروبا الوسطى والشرقية وأمريكا اللاتينية" (5).

ونتساءل هنا: حركات من غير الدول في الثمانينيات في أوروبا الوسطى والشرقية، كمن مثلاً؟

مثل نقابة 'تضامن' في بولندا، التي تأسست عام 1980، ووصل قائدها ليخ فاليسا للحكم عام 1990، على أجنحة دعم البابا جون بول الثاني، ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA التي قدمت لنقابة 'تضامن'' المستقلة عن الغرب، 50 مليون دولار عبر أطراف ثالثة بحسب كاتب بريطاني (6) متخصص بالتاريخ الأوروبي تحول كتابه 'ما بعد الحرب: تاريخ أوروبا منذ العام 1945" المنشور عام 2005 الى أحد أكثر الكتب مبيعاً بالإنكليزية، لينال عدة جوائز دولية عليه، وهذا المعلومة مهمة فقط لكي نُظهِر أن الكتاب نال اعتراف المؤسسة الحاكمة وتقديرها لمصداقية ما ورد فيه.

أما أحد المحركات الفكرية لنقابة ''تضامن'' البولندية فكان الكاتب البولندي المنشق ليزيك كو لاكاوسكي Leszek لما أحد المعوامل الملهمة Kołakowski الذي اعتبر كراسه ''في بلاد ستالين: أطروحات في الأمل واليأس'' (1971) أحد العوامل الملهمة لتأسيس الحركات المناهضة للحكم في الدول الاشتراكية من خلال استراتيجية تأسيس مجموعات اجتماعية منظمة ذاتياً يمكن أن تعمل تدريجياً وسلمياً على توسعة مجالات ''المجتمع المدني'' في الدول الشمولية (7).

وحيث تحدث غرامشي عن المثقف العضوي كأداة لخوض الصراع الثقافي في المجتمع، فإن الشخصية الثقافية اللاعضوية التي تم تلميعها غربياً كأحد فرسان "المجتمع المدني" في أوروبا الشرقية كان الكاتب والأديب التشيكي فاكلاف هافل Vaclav Havel الذي وصل على رأس حركته "المنتدى المدني" إلى السلطة في تشيكسلوفاكيا عام 1989، وبعد انقسامها "ديموقر اطيبا" بعد "الثورة المخملية" إلى دولتين هما تشيكيا وسلوفاكيا عام 1992، أصبح فاكلاف هافل رئيساً لتشيكيا حتى عام 2003، وتوفي عام 2011، وقد لعب هذا الأديب والمسرحي الإنساني الحساس دوراً فعالاً في تفكيك حلف وارسو ومد حلف الناتو شرقاً! وأهلاً وسهلاً بالمجتمع المدني...

في هذا، لا شك في أن المجتمع المدني في أوروبا الشرقية أصبح ساحة حرب ثقافية وأيديولوجية حقيقية تمكنت الإمبريالية في خضمها من تحقيق اختراقات عميقة تحت عنوان مضلِل هو: المجتمع المدني (المدعوم من الغرب) في مواجهة الدولة (الاشتراكية)، وهو النموذج الذي لا تزال تستخدمه الإمبريالية اليوم من فنزويلا إلى سورية، كجزء من مشروع فرض هيمنتها على العالم، والطريف في هذا المجتمع المدني أنه يستثني الأحزاب السياسية، لا سيما العقائدية منها، بذريعة أنها تسعى للوصول للحكم، ولكنه لا يستثنى "منتدى دافوس" مثلاً أو مراكز الأبحاث



العدد رقم (64) صدر في 1 آبلول عام 2019 للميلاد

والجمعيات غير الحكومية التى يمولها الوقف الوطني للديموقراطيـة National Endowment for Democracy التابع لـلإدارة الأمريكيـة لز عز عـة اسـتقر ار الـدول المسـتقلة.

نلاحظ في هذا السياق أن مشروع زعزعة استقرار سورية عام 2006 الذي كشفت عنه وثائق ويكيليكس عام 2011، والـذي تضمـن مراسـلات بيـن السـفارة الأمريكيـة فـي دمشـق وواشتنطن، حمل عنوان: ''تعزيز الديموقراطيـة وتقويـة مؤسسات المجتمع المدنى" (8).

كذلك سبق أن ترجَمتُ وثيقةً تسربت لوكالة المخابـرات المركزية الأمريكية CIA تحمل تصنيف "سري جداً" حول خطة عمل محددة لتمويل هيئات المجتمع المدن حريب سيب المجتمع المدني في يوغوسلافيا السابقة قبل تفكيكها تحت عنوان "دولة مدن قدر القالم المدان المدن صربية ديموقر اطية". وترجمة هذه الوثيقة موجودة على مواقع مختلفة على الإنترنت تحت عنوان ''التمويل الأجنب للمنظمات غير الحكومية: وثيقة للسي أي إيه"، وقد حملت الوثيقة ختم مؤسسة البلقان/ المخابرات المركزية الأمريكية، ويبدو أن الروس هم الذين سربوها، وقد صدرت أولاً بتاريخ 16/12/1998، وقد سبقت العدوان الناتوي على يوغوسلافياً عــام 1999 (9).



القصة وما فيها، بالإضافة إلى مشاريع محاربة الدول المستقلة، أن مشروع العولمة كمشروع لتفكيك الدول المركزية عموماً، وتقليص صلاحياتها، والحد من دورها في الاقتصاد، والحاجة للتخلص من دولة الرعاية الاجتماعية -wel fare state لفرض سياسات نيوليبر الية على العالم بأسره، باتت تتطلب مؤسسات من غير الدول للتصدي للمهمات الاجتماعية والرعوية التي كانت من مسؤوليات الدول، ومن هنا نشأت الحاجة لنشوء ''قطاع ثالث'' يتولي مهمة الرعايـة ولا يتمتع بصلاحيّات الدول، أي لا يستطيع أن يشكل عائقاً أمـام الشـركات متعديـة الحـدود فـي سـعيها للاسـتثمار والتسويق والتوظيُّف والحركة غير المقيَّدة عبر الحدود. لذلك جِاءت قروضَ المؤسسات الاقتصَّادية الدوليَّة مثل البنكّ الدولي وصندوق النقد الدولي للدول المثقلة بالديون مشروطةً بتقليص حجم ودور القطاع العام بالترافق مع زيادة المساعدات الدولية المخصيصة لمؤسسات المجتمع المدني كبديل فاقد للسيادة لمعالجة المشاكل المحلية أو الإقليمية أو الدولية موضعياً (إزالة الألغام، مكافحة تلوث البينة، محاربة الفقر، التنمية الريفية، إلخ...)، ناهيك عن دور منظمات المجتمع المدنى في بلورة الهويات الفرعية والمتفعلة في مواجهة الهوية الوطنية والقومية الذي سنتطرق إليه بعد قليل، ولن ندخل في دور تلك المؤسسات في تعميم التطبيع مع العدو الصهيوني عربياً وهو ما تمت تغطيته تفصيلياً في ورقة أخرى جاء في مقدمتها:

"و هكذا بات تقويض سيادة الدول ومشروعيتها وصلاحياتها جو هر الأجندة المعلنة للشركات متعدية الحدود، وباتت المؤسسات الاقتصاديـة الدوليـة هـي المعنيـة بتنفيـذ تلـك الأجنـدة، وقد فـر ض موضـوع الخصخصـة، وموضـوع إنهـاء دولـة الرعاية الاجتماعية، حتى في الغرب، على أرضية تلك الأجندة."

"لكن تنفيذ تلك الأجندة ترك فراغاً. فانسحاب الدولة من حيز الاقتصاد، ومن حيز المجتمع، بات يتطلب جهة أخرى، لا تمثل حكومة معينة، بملء ذلك الفراغ من أجل تحقيق استقرار نظام العولمة. لأن قوى العولمة إذا قامِت بإجراءات تفكيك الدولـة الوطنيـة بـدون صمِـام أمـان فـإن ذلـك قـد يـؤدي إلـى ثـورات يمكـن أن تتجـه اتجاهـاتٍ ثوريـةً، نحـو التنميـة المستقلة والتحرر الوطني مثلاً، وهو ما سوف يخرب كل مشروع العولمة... ومن هنا بدأ التركيز على دور ما يسمى بالمنظمات غير الحكومية، ومنظمات التمويل الأجنبي، في سياق خطاب ما يسمى "المجتمع المدني":" (10)



العدد رقم ( 64) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد

كذلك جاء في ورقة أخرى بعنوان ''دور الجمعيات الحكومية الممولة أجنبياً في إضعاف الهوية القومية" (طلقة تنوير عدد 51)، استناداً إلى فصل ''المجتمع المدني الكُوني'' في كتاب "الأقتصاد السياسي للعولمة" الصادر بالإنكليزية عام 2000، والمترجم للعربية عام 2003:

"أما مفهوم "المجتمع المدني الكوني" فنشأ في تسعينات القرن العشرين مع بروز "المنظمات غير الحكومية الدولية" و"شبكات الدفاع المتعديـة للقوميـات٬٬ و٬٬الحـركات الاجتماعيـة الكونيـة٬٬... وهنا ينطلق الكاتب من وضع تعريف للعولمة يركز فيه على فكرة "عدم الارتباط بالأرض" deterritorialization، ونشوء علاقات كونية وصلات اجتماعية "اليس فيها للموقع الإقليمي والمسافة الإقليميـة والحدود الإقليِميـة تأثير حاسم''... وهنـا يركـزّ الكاتب أن هذا لما ينجز تماماً بعد، وبالتالي نحن نعيش في عالم يتعولم وليس في عالم معولم بعد. ومن هنا يعتبر أنَّ "المجتَّمُ المُدنِّي الكونِي، هو "المُجتمُع المدني، الَّذي: أَ \_ يعالج القضايا العابرة للحدود، ويشتغل بقضايا تتجاوز الجغرافيا الإقليمية، ب - يشمل الاتصالات العابرة للحدود، مثل وسائل الأتصال الحديثة والمؤتمرات الدولية؛ ج - له تنظيم كوني،

ويعطي "منتدى دافوس" وغيره مثالاً على ذلك، ود - يعمل طبقاً لفرضية التضامن المتعدي للأقاليم، مما ينمي إحساساً بهوية جماعية ومصير جماعي يتجاوز الحس الوطني أو القومي، ويكون ذلك بربط الناس عبر الحدود في شبكات على أساس العمر مثلاً، أو المهنة، أو العرق، أو الطائفة، أو التوّجه الجنسي، الخ...،"

الخلاصـة هـي أن مفهوم المجتمع المدنـي هو مفهوم مختـرق مقولـب إمبرياليـاً لتحقيق أهداف تفكيكيـة سياسـياً واجتماعيـاً، وللحلول محل الحركات الوطنية والقومية الطابع التي كانت تتبنى القضايا الاجتماعية والمطلبية المحلية الطابع ضمن رؤى كُلبِة تحافظ لا على وحدة الوطن فحسب، بل على وحدة حركات التغيير ذاتها، فالمجتمع المدني هو بديل الشعب أو الجماهير أو العمل الوطني والقومي، ومنظمات المجتمع المّدني هي بديّل المنظمات الشعبية أو الجماهيريّـة أِو الوطنيـة والقوميـة، وقيـادات المجتمّع المدنـيّ شـذرات مفككـة مرتّبطـة بالّخـارّج فـي الأعـم الأغلـب لا حـركات وطنيـة أو قومية متر ابطة ومستقلة.

ومن البديهي أننا لا نقول قِط أن كلِ جمعيـة غيـر حكوميـة أو كل مركـز أبحـاث هـي موضـع اتهـام مـا دام لا يتلقـي تمويـلاً مشبوهاً ولا يرتبط سياسياً وتنظيمياً بأجندة خارجية، فهناك من الجمعيات والمراكز ما يعبر عن أجندات وطنية ولا يقبل إلا تمويلاً نظيفاً مهما كان قليلاً.

كذلك ربمـا يشـذ بعـض التمويـل الـذي تهبـه الأمـم المتحـدة ومؤسسـاتها أحيانــأ، وبنسـبة مــا، ويجـب أن تؤخـذ كل حالــة على حدة هنا، وذلك لأن الأمم المتحدة تساهم فيها كل الدول، ولو بنسب متفاوتة، وفيها هامش ما لأثر الدول المستقلة، ولـلإرث التحـرري لمرحّلـة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات، وهو هامش يضيق ويتسع، بحسب المؤسسة والمرحلـة الزمنيـة، ولكن الأمم المتحدة ككل تبقى مشروعاً إصلاحيـاً في أحسن الأحـوال، يرقع عـورات نظـام الهيمنـة الإمبريالية ويسترها، وليس بالتأكيد مشروع تغيير ثوري أو مناهضٍ للإمبريالية، بمعنى أن المنطقة الرمادية شيء، والعمل الوطني والقومي شيء آخر مختلف تماماً.

باختصــار، المجتمـع المدنـي عبـوّة مفاهيميـة مفخخـة يقصـد منهـا أن تكـون صمـام أمـان للعولمـة السـاعية لتفكيـكِ الـدول المركزية والحركات الوطنية والقومية، ودور ها الرئيسي هو محاربة الخط الوطني والقومي والاشتراكي وأن تكون بديلاً عنه، وبمقدار ما تزعم أنها بعيدة عن الأيديولوجياً، فإنها تسوق في الواقع لمنظومة الفكر الليبرالي المتغرب،



العدد رقم (64) صدر في 1 آبلول عام 2019 للميلاد

ولمن يسال: ما العمل إذن؟ نجيب: العودة المربع الأول وهو بناء حركات وطنية وقومية كلية الرؤى، ولكن بأدوات جديدة تأخذ بعين الاعتبار تطورات القرن الحادي والعشرين، لأن تطوير أدوات العمل الوطني والقومي شيء، والتخلي عن أهدافه شيء آخر مختلف تماماً.

الهو امش:

- http://web.worldbank.org/WBSITE/EXTERNAL/TOPICS/CSO/0%2C%2CcontentMDK:20101499~menuPk:244752~pagePK:220503~piPK:220476~theSitePK:228717%2C00.html
- https://www.iep.utm.edu/hegelsoc/#SSH6c.iii الموسوعة الفلسفية (2)
- (3) https://www.marxists.org/archive/marx/works/1843/critique-hpr/ch03.htm#023
- (4) Gramsci, Antonio (1982). Selections from the Prison Books. Lawrence and Wishart. p. 160.
- (5) https://www.weforum.org/agenda/2018/04/what-is-civil-society/
- (6) Tony Judt (2005). Postwar: A History of Europe Since 1945. The Penguin Press. p. 589.
- (7) http://storage.osaarchivum.org/low/23/52/2352ec23-187b-40d7-972c-b2806a30a2e2 l.pdf
- (8) http://www.freearabvoice.org/?p=1339
- (9) https://www.alfikralarabi.net/vb/showthread.php?p=3687
- (10) http://www.freearabvoice.org/?p=2580
- (11) http://www.freearabvoice.org/?p=5438

#### عندما يُختزل المشروع "الوطنى الديموقراطى" إلى مشروع "مجتمع مدنى": نقد قومى للظاهرة

#### عبدالناصر بدروشي

لا يخفي على أحد أن الأحزاب القومية واليسارية العربية أصبحت تتبني ما يسمى بالمشروع "الوطني الديموقراطي"، و هي تقدم نفسها على أنها أحزاب ذات مرجعية قومية إلا أنها معنية بالشأن القُطري، وتقوم برامجها السّياسية والانتخابية على أساس النهوض بالقطر ومحاولة إيجاد موطئ قدم داخل منظومة التجزئة بدعوى الواقعية ونبذ الوهم وبدعوى أن زمن الخطاب الثوري قد انقضي، ومن هنا نتساءل: لماذا لا تزال الأحزاب الحاملة للعنوان القومي تردد بعض الشعارات الوحدوية بعد أن تخلت تماماً عن جوهر المشروع الوحدوي وهي عاجزة اليوم على طرح تصور لإنجاز

إن غيـاب تصـور عملـي وعلمـي لإنجـاز الوحـدة لـدى القومييـن العـرب يولـد إحساسـاً بالضيـاع يدخلـون بعـده فـي مرحلـة الُّتيه، ويدفعهم الحنين للشُّعاراتُ التي تُربُوا عليها إلى اتُّباع كل من يرُّددها حتى وإن لم يقدم تصوراً عملياً لإنجازها وتحويلها إلى واقع ملموس، إنها لوضعية محيرة، أحزابٌ يفترض أنها تؤمن بعدم مشروعية الدولة القطرية وتتبنى شعارات تتناقض مُّع منظومة التجزئة، وفي الوقت ذاته تتماهي مع هذه المنظومة وتسعى لأن تُمثل داخلها وتعطي

يقول البعض أن الانخراط في الشأن السياسي القطري ضروريٌ وخطوة هامة على درب الوحدة، فإذا ما كان القوميون أقوياء في تونس مثلاً وتمكنوا من حكمها فسيدفعون حتماً باتجاه الوحدة. لكن بغض النظر عن مدى صحة هذا التوجه وتقييمنـا لـّه من حيث الجدوي والفعاليـة، إذ يمكن أن نصـدق بـه ونأخذه علـي محمـل الجـد فـي حـال سـعت الأحـز اب القوميـة



العدد رقم ( 64) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد

ٱلدُّكُتُوراتراهيِّ مُعلوُّشُ

إلى إيجاد بنيـة تنظيميـة قوميـة عابـرة لحـدود سـايكس- بيكـو تُشكُّلُ قِاعدةً ورديفاً لما يقوم به الحزب داخل القطر، فإن هذه الأحزاب تعمل منغلقة ومتقوقعة داخل القطر الذي تتواجد فيـه وتـردد شـعارات سياسـية "وطنيـة ديموقراطيـة" لا منطقيـة لا بـل وتتناقـض مـع جو هـر مرجعيتهـا، أي أن الإيمـان بالقومية العربية يقتضي بالضرورة إقرارنا بعجز منظومة التجزئة عن إنتاج تنمية حقيقية واستقلال حقيقي وهذا ما تقوله قوانيـن الجغر افيـا السياسـية وعلـم الاقتصـاد السياسـي، فهل أصبحت الأحرزاب العربية تشارك في تضليل الرآي العام العربي بدل توعيته ودفعه للسير في طريق النضال القومي باعتبار ه الحل الحقيقي لكل مشكلات الواقع العربي، هل باتّت الأحزاب القومية تتآجر بالشعارات القوميّة لتحصّد اصبوات القوميين حتى تحقق بعض المكاسب البلدية أو البرلمانيـة التـي لا تسمن و لا تغنـي مـن جـوع مـن منظـور قومـي عروبي؟ وهل أصبحت لدينا طبقة سياسية تتاجر بالقومية على غرار المتاجرين بالدين؟ عند كل عمليـة نقد نوجههـا لممارسـة أغلـب الأحـزاب القوميـة العربية نُتهم بالمزايدة ويواجهوننا بالسؤال التالي: ما الحل الذي تقترحونه؟

في الحقيقة قدمت لائحة القومي العربي رؤيتها للحل في عدة مؤلفات ونشرات أهمها كتاب "مشروعنا" الذي يطرح مقاربة قومية جذرية ورؤية لمشروع النهوض العربي تتناسب مع القرن الحادي والعشرين، وكذلك مجلة "طلقة

تنوير" الشِّهرية التي استُخرجنا منها مجمِوعة من المقالات الِّتي تعالج قضية الردة عن المشروع القومي العربي، بالإضافة إلى عشرات المقالات والكتب الأخرى، ولمن لم يتسنَّ لـة الإطلّاع على أدبياتنا نقدم هذا المقال آملين أن يدفعه للاطلاع على مقاربتنا القومية الجذرية.

في السياسة يتم تحديد الهدف الاستراتيجي ارتكازاً على العقيدة السياسية التي يتبناها جمع مِن المناضلين، ومن ثم يتم رسّم ملامح الأداةِ المناسبة والقادرة على تُحقيقِ الهِدف، أي أن طبيعة الهدف تُحدد طبيعة الأداة، ومن ثم تأتي الممارسةُ التي ستسبير بالأداة وتحركها صوب الهدف، أي أن الاستراتيجية والممارسة ينبغي أن تكون منسجمة مع الهدف ومع طبيعة الأداة

فإذا ما انطلقنا من أساس عقائدي قومي عربي فهذا يقتضي بالضرورة أن نؤمن بأن العرب أمة مكتملة التكوين وتختلف عن غيرها من أمم الأرض اليُّوم بأنها مقسمة ومتخلفة ومسلوبة السيادة (ومن ذلك التبعية والاحتـلالات

علِي أساس هذا الطرح يتم اشتقاق الهدف الاستراتيجي اشتقاقًا منطقياً، ألا وهو الوحدة والتحرير والنهضة، أي توحيد الأراضي العربية المقسمة وتحرير كل شبر محتل وتحرير الأقطار الخاضعة للهيمنة الأجنبية وإطلاق مشروغ نهضة عربية شامل (ثقافي، اجتماعي، اقتصادي، صناعي، تكنولوجي).

فإذا حددنـا الهـدف الاسـتراتيجي لا بـد بعدهـا مـن ان نحـدد ملامـح الاداة التـي سٍـتعمل عِلـى تحقيقـه، وبمـا ان هـدفِ تحريـر الشعب العربي وتوحيده تحتّ راية دولة واحدة والنهوض به يعتبر هدَّفاً قومياً، فمن البديهي أن تكون الأداة التي ستعمل على تُحقيقًه أداةً قومية، و''قومية" الأداة لا تتحقق عبر رفع الشعارات وإنما بقدرتها على الفعل في كلّ جزء من الجغرافيا العربية الممزقة. فينبغي أن تكون هذه الأداة قادرة على حشد طاقات أبناء الأمة من أقصى المشرق إلى المشرق المدف.



العدد رقم (64) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد

الأداة هي مربط الفرس، وعجز حملة المشروع الوحدوي عن تحقيق أهدافهم يعود في الأساس إلى عجزهم عن إيجاد الأداة القادرة على السير بالأهداف حتى تحقيقها، فليس المطلوب إعادة اكتشاف القومية العربية ولكن تفتقر مكتبتنا القومية إلى تأصيل نظري للمسألة التنظيمية كما تفتقر إلى برنامج عملي وعلمي لمشروع النهوض القومي يستجيب لمتطلبات المرحلة.

ليس المطلوب بالطبع إعادة استنساخ تجارب فشات في تحقيق أهدافنا، أو وصلت إلى طرق مسدودة، مع عميق محبتنا وشديد احترامنا لمؤسسيها، وليس المطلوب التخلي عن خطابنا وثو ابتنا كما تفعل أغلب الأحزاب القومية زاعمة أن التعثر من قبلنا هو بسبب جوهر خطابنا القومي لا بسبب خلل في الممارسة، بل المطلوب هو تجديد الأليات والاستراتيجيات وتصويب الممارسة وتطوير النظرية بما يتلاءم مع القرن الحادي والعشرين.



كل ما سبق يعطينا الملامح العامة لهذه الأداة و لا يحدد نو عها بدقة، فهل هي حزب أو تنظيم بالمعنى النقليدي للمصطلح؟ إن الأداة التي ستحمل على عاتقها إنجاز أهداف العمل القومي هي أداة مركبة، فما المقصود بذلك؟

إن أهداف العمل القومي هي أهداف أمة بأسرها، ويجب الأخذ بعين الاعتبار التنوع الأيديولوجي لمختلف أبناء الأمة المناضلين داخل كل قطر، إذ لا يمكن لأي فصيل منفرداً أن يضطلع بتحقيق تلك الأهداف العظيمة ومواجهة التحديات والعراقيل الكبرى، وحتى نتمكن من حشد كل المناضلين الشرفاء بمختلف انتماءاتهم داخل أداة تنظيمية واحدة ينبغي أن تكون الأداة عبارة عن تيار عريض وليس حزباً يتمترس خلف أيديولوجية جامدة وإنما جبهة عربية عريضة تتمسك بمسطرة مصلحة الأمة العربية وبأهداف النضال القومي فقط مع احترام خصوصية كل فصيل، إلى هذا ربما يشعر قارئ هذه السطور بأن هذا الطرح الجميل عبارة على حلم وردي يفتقر إلى العقلانية ولا يضع أقدامه على أرض الواقع، فكيف يمكن توحيد الأحزاب والقوى التي تنطلق من طرح قطري «وطني» ضيق، ناهيك عن الأحزاب القومية واليسارية المتناثرة في كل أرجاء الوطن العربي ضمن جبهة عربية متحدة؟

لا يكفي أن نرفع عقيرتنا وأن نهتف بالوحدة حتى تتحقق، ولا يكفي أن ننشد الأشعار حول أهمية توحيد القوى الوطنية احتى تتوحد، فشرط تحقق الوحدة النصالية للأحزاب والقوى الوطنية العربية هو تأسيس بنية تحتية صلبة ومتينة تكون قادرة على تحمل البنيان، وهي بمثابة العماد الذي سيرفع مشروع النهوض العربي، وبلغة أكثر وضوحاً نقول بأن الشرط الأساسي لتوفر الظروف الملائمة لهيلاد الحركة الشعبية العربية المنظمة هو بناء نواتها التنظيمية والتي ينبغي أن تكون قومية عربية شكلاً تنظيمياً متيناً يمتاز بالصلابة في العقيدة والصرامة التنظيمية والمرونة في الممارسة السياسية، الصلابة العقدية مطلوبة حتى تتمكن من ضبط إيقاع الحركة الشعبية العربية المنظمة وحتى تكون ضامنة لعدم انحرافها، والصرامة التنظيمية ضرورية كي لا تترهل وتتشظى وحتى تتمكن من السير في الطريق الطويل الوعر والملغوم حتى نهاياته، والمرونة في الممارسة السياسية ممهمة حتى تتمكن من السير به والحول دون تفجير الصراعات الأيديولوجية والخلافات الثانوية في صفوفها وحتى تتمكن من السيعبة عربية منظمة تضم في صفوفها أحزاباً وتجمعات وقوى وشخصيات من مختلف التيارات المركبة، أي حركة شعبية عربية منظمة تضم في صفوفها أحزاباً وتجمعات وقوى وشخصيات من مختلف التيارات السياسية (شريطة أن لا تكون بينها أحزاب أو قوى تعمل وفق أجندات أجنبية)، يؤسسها ويقودها تنظيم (أو تنظيمات متالفة) قومي عربي جذري قادر على تجميع مختلف ألوان الطيف السياسي الوطني في كل قطر عربي على حدود التجزئة.



علمتنا التجربة أن وصول أي قوة أو شخصية سياسية قومية إلى أعلى هرم السلطة لا يعني تحقيق الوحدة، كما أثبتت التجربة أن القطر الذي يحكمه قوميون سيدخل في مواجهة كبرى تفوق إمكانياته القُطرية، وإذا لم يكن التنظيم الحاكم قادراً على إدارة الصراع في عدة جبهات عربية تشتت تركيز العدو وتستنزفه، بدلاً من أن يتعرض هو للتشتت والاستنزاف، فإنه لن يقدر على مواجهة العدوان كما فعلت الجمهورية العربية السورية فإن القطر سيبقى في حيز المقاومة والدفاع ولن يقدر على المبادرة والانتقال إلى الوضع الهجومي إلا إذا كانت له قواعد تنظيمية عقائدية متماسكة منتشرة في كل أو أغلب الجغرافيا العربية.

إن العالم اليوم لا يفهم إلا لغة القوة، والحزب الذي ينوي الدخول في معارك سياسية لتأميم الثروات ولإنهاء الهيمنة الأجنبية والمضي في مشروع التنمية المستقلة يجب أن يكون واعياً بأن ذلك سيفرض مواجهة شرسة ودموية مع الإجنبية والمضيا، ولا يكفي أن تكون الأحزاب القومية منتخبة ديموقر اطياً حتى تقدر على تحقيق أهدافها حتى على المستوى القطري، فبناء تنظيم شعبي عقائدي عابر للأقطار هو السبيل الوحيد لتحقيق أهداف كبرى مثل أهداف المشروع القومي العربي وليس المشروع "الوطني الديموقر اطي المدني" المنسجم مع طروحات "المجتمع المدني" الليبرالية الرامية إلى تفكيك الحركات الوطنية والقومية، لا الدول المركزية فحسب.

لقد غيّر بعض القومبين واليساريين خطابهم وطوعوه وفق أجندات خاصة تتمحور حول تحسين مواقعهم داخل منظومة التجزئة وتحصيل بضعة مقاعد تحت قبة مجالس برلمانية تشرّع لبيع ما تبقى من السيادة الوطنية، وقد أثقلهم حمل الأمانة وقالوا بأن لا قبل لهم بتحمل مشقتها، ولسان حالهم ينشد ما أنشده الشاعر الكبير أمل دنقل:

سيقولون ها أنت تطلب ثأراً يطول.. فخذ الآن ما تستطيع.. قليلاً من الحق في هذه السنوات القليلة.. إنه ليس ثأرك وحدك.. لكنه ثأرُ جيلِ فجيل..

إذا لم يؤمن المناضل بحتمية النصر فهو لن يصمد طويلاً ولن يصبر على وعورة الطريق وسيسقط حتماً، وسيجد لنفسه ألف مبرر حتى يفلت من مواجهة تخاذله وانحرافه، ولن يعجب هذا الطرح جموع الطامحين والساعين لتحقيق مكاسب آنية حتى على حساب الأهداف الاستراتيجية.

إنّ التلاعب بالجماهير وتضليلها وتخريب وعيها ليس حكراً على النخب التابعة لقوى الهيمنة الخارجية. فالكثير من الأحزاب الحاملة لعناوين مناهضة للإمبريالية تتلاعب بقواعدها وتضللهم وتحرّف وعيها وتقنعها بالتخلي عن الطريق الصعب الذي يكلّف جهداً وتضحيات كبيرة دون مقابل آني ملموس، فتراهم يستهدفون وعي القواعد لأنه سيحول دون تسخير ها لخدمة الأهداف الانتهازية لمن يقودها. ومن يقودها يحلم بأن يصبح نائباً أو وزيراً أو رئيس بلدية وأن يحظى بمقبولية تتيح له الظهور الإعلامي المتكرر وأن يصبح ذا شأن. إن مثل هذا النوع لا تعنية الثورية ولا التضحيات وهو لا يقبل أن يُحرم من الأضواء والمناصب، وهو ما يجعله يستميت في سبيل ضرب الوعي الثوري الذي يعيقه.

وهل توجد حماقة أكبر من الإيمان بمشروع وطني ديموقراطي يقتسم فتات السلطة مع أحزاب عميلة يفترض أننا نهدف لاجتثاثها سياسياً لا التعايش والتنافس معها وإعطائها مشروعية معنوية وأن نمنحها اعترافاً بحقها في ممارسة سياستها العفنة ؟!

لا يستطيع أحد إنكار حقيقة ساطعة كالشمس في رابعة النهار وهي أن أغلب الأقطار العربية خاضعة للهيمنة الأجنبية ومحتلة بشكل مباشر وغير مباشر، وهذا الواقع يفترض أن يواجه بمشروع مقاومة وليس بمشروع انتخابي قاصر وفاشل.

وإنها لطامـةً كبـرى حيـن يتغير الهدف مـن السـعي لإسـقاط منظومـة التجزئـة إلـى تحصيـل مقاعـد بلديـة وبرلمانيـة ووزاريـة داخـل المنظومـة ذاتهـا.



العدد رقم (64) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد

# الجيوش العربية والديمقراطية: رد على دعاة المجتمع المدني

#### بشار شخاترة

يتطرق موضوع هذا المقال إلى علاقة الجيوش مع موضوع الديموقراطية في سياق التجربة العربية، وننوه اللي أن هذا المقال استكمال لمقال سابق بعنوان (العرب والجيش علاقة تلازم) تم نشره في عدد طلقة تنوير رقم 62، وهو موجود على هذا الرابط:

# http://www.freearabvoice.org/wp-content/up-loads/2019/06/TT62.pdf

يحلو (المثقفين) الليبر اليبن العرب تحميل عبء الكوارث العربية على غياب الديموقر اطية، ويحملون الجيوش العربية وزر غياب الفردوس الديموقر اطي الذي يتغنون به، حيث تملأ كتبهم ومقالاتهم الفضاء الإعلامي لتهاجم المؤسسة العسكرية العربية وتتهمها بالوقوف في مواجهة الجماهير العربية التي تناضل من أجل الديمقر اطية بخطاب أجوف يحاول فيه الليبر اليون تصوير الواقع العربي كأنه ينتظر ساعة الصفر الديمقر اطية في مقابل ساعة الصفر الانقلابات العسكرية.



إن التهمة المفضلة لدى عرابي الديمقر اطية هي أن الجيوش العربية لا تتقن إلا الانقلابات العسكرية، وأنها أداة بيد قوى خارجية لمنع التحول الديمقر اطي في سبيل الوقوف حائلاً في طريق النهضة والرقي، وأن الجيوش تستأثر بحجم كبير من الإنفاق العام مقابل لا شيء، لذلك ليس غريباً أن يكون هؤلاء رأس حربة في مشروع إدماج (إسرائيل) في الواقع العربي وهم عرابو الانفتاح على السوق العالمية والرأسمالية الدولية ومؤسساتها الاقتصادية والثقافية.

إن مسألة الديمقر اطية المشروخة لم تكن يوماً هي المعضلة التي أوصلت الواقع العربي إلى ما هو عليه، وكذلك نقول إنها لن تكون هي الترياق الذي ينهي تلك المعضلة، فمن الظلم القفز عن كل تفاصيل الحالة العربية - من انتسار الجهل والتخلف والفقر والتجزئة واغتصاب الأرض العربية والتبعية للأجنبي - للقول أن كل هذه المصائب ناشئة عن استبداد العسكر وتغييبهم للديمقر اطية وشرعيتها الانتخابية.

وعلى هامش هجوم هؤلاء على الجيوش، فقد هاجموا كل من يحاول أن ينصف المؤسسة العسكرية بغض النظر عن الدافع، تحت مقولة خيانة المثقفين للديمقراطية، من باب إسقاط أي دفاع عن مؤسسة الجيش التي نعتقد أنها شكلت ولا تزال ضمانة لوحدة النسيج الوطني في الأقطار العربية، ففي واقع عدم الاندماج الاجتماعي الحاصل في المجتمع العربية تم العربية القطرية القطرية وما بين مجتمعها بسبب الخلل البنيوي للدولة القطرية العربية، فالأمة العربية تم تقسيمها إلى 22 دولة، كل منها لها منظرون ينادون بهوية فرعية على حساب الهوية الأصلية، ولغياب الأصيل وهي الهوية العربية يبدأ الناس في التمزق شيعاً ومذاهب، فالعروبة بمثابة الأم التي تجمع.

نقول أن ما يدعيه بعض المارقين (من أمثال عزمي بشارة في كتابه "الجيش والسياسة") من أن الجيوش "يعيبها" أنها تحقق حالة اندماج النسيج الاجتماعي فيها، خارج إطار المجتمع ذاته ومؤسسات الدولة، هو أمرٌ لا يعيب الجيش على الإطلاق ولا ينال منه، وإنما ينال من واقع التجزئة وغياب الهوية الجامعة عن الساحة لصالح هويات مختلقة لا أساس لها. حالة التجسد هذه من الطبيعي أن تظهر في الجيش لسببين، الأول يعود إلى حالة الضياع الهوياتي الناشئ عن وجود هويات دنيا مختلفة على حساب الهوية العربية الأم،



العدد رقم ( 64) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد

والثاني لأن الجيش بفعل خطابه التعبوي لأفراده وضباطٍ وارتباط هذا الخطاب بالوطن والأمة بطريقة صارمة ومنضبطة يصهر الجميع في بوتقة سامية ويجسد فعلياً حالة الاندماج المفقودة في الواقع المؤسساتي والاجتماعي المتناقـض أساسـاً، فهـذه ميـزة للجيـش فـي إطـار هـذا التمـزق بالمحافظـة علـي الوحـدة الوطنيـة فـي الإقليـم أو القُطـر.

ومن أشكال تهم "خيانة الديمقر اطية" التي يُرمى بها كل من يدافع عن وحدة النسيج الوطني، أن هؤلاء يروجون لدور الجيوش كبديل لدور الطبقة الوسطى أو البرجوازية في أوروبا وذلك لتبرير استيلاء العسكر على السلطة، وهذا القول لا يخلو من جدل، فقدٍ تطرقنا في مقالِنِا (العرِب والجيشُ علاقة تلازم) إلِي دور الجيش في عهد محمد علي في نهضة مصر وتصنيعها، فالأمر ليس خيانة أو كفراً بالديمقراطية وليس ترويجاً لسلطة الجيوش، ولكن الجيوش تمتلك وسائل وأدوات وتنظيماً وانضباطاً مثالياً بمقاييس العالم الثالث، إذا أعدت خطة عمل يمكنها أن تعقلن وتنظم السلوك الاجتماعي مع الأخذ بالاعتبار أن تطبيق التنظيم العسكري على المجتمع ليس بالتركيز المطبق على أفراد القوات المسلحة للفارقَ بين هدفي التطبيق، وهذا ليس من نظرة فوقيةً إلى المجتمع ولكن من لدن الاستفادة من إمكانات الوطن للنهوض بــه.

إن خطة العمل التي نتحدث عنها هنا تندرج ضمن مشروع نهضوي يهدف إلى معالجة السلوك الفوضوي في المجتمع، وفرض تعليم أكثر صرامة يقوم على منهج عقلي تحليلي فشل التعليم العام في البلاد العربية في تعميمه وبقي تعليماً يعتمد التلقين دون ارتباط التلقين بتحفيز النّقد والتّحليل، لذلك فِإن مشروعاً من قبيل عقلنة المجتمع وضبط سلوكه بنظام يحترم القواعد التنظيميـة في جميع شؤون الجيـاة يحتـاج قدرا أكبـر من الصرامـة لأن الـدور التاريخي الـذي صهر المجتمع الصناعي الغربي ضمن بوتقة النظام الرأسمالي الجشعة وبقسوة أرباب العمل خلقت من مجتمعاتها مجتمعات تستتند إلى العقل واحترام النظام، وهذه تجربة لا يمكِن تكِرارها وتطبيقها على الحاضر، من هذا الفهم نستطيع الاستفادة من النظام العسكري لإعادة بناء المجتمع مع التأكيد أننـا لا نقصـد عسكرة المجتمـع، فليس الهـدف تنظيم المجتمع ضمن التراتبية العسكرية وخُضوع أفراد المجتمع للطّاعة المتبعة في الجيوش بين الرتب الأدنى والأعلى، بلّ المطلوب المحافظة على مدنية المجتمع ولكن أن تسير عملية إعادة البناء لدى الناشئة ضمن المسار العسكري. حتى تكتمل حلقة البناء لا بد من تحصين الجيش وتدعيم منظومة القيم والمعتقدات لدى عناصره ضباطاً وأفراداً، حتى لا يكون سير العمل في مشروع إعادة بناء المجتمع منفصـلاً عن منظومـة القيـم التـي يتوخاهـا المشـروع الـذي يضطلـع بــه الجيش، ومن أهم ركائز هذه القيم والمعتقدات ركيزة أن الجيش موكل لـه عمليـة تنهيـض المجتمـع والدولـة وأنـه شـريكُ في هذا المشروع لا وصٍ على المجتمع والدولة، بالإضافة إلى هدف حماية الوطن والدفاع عنه.

وعودة إلى الديمقراطِية التي تتهم الجيوش بدمها، من العدل أن نسأل أولئك: أين هي الديمقراطية في بـلاد لم تشهد أي انقـلاب عسكري أو حكم للعسكر فيهـا بالمفهـوم الـذِي يروجـون لـه؟ ففـي الأردن ودولٌ الخليـج العربـي كان الحكم منـذ نشَّأت تلك الدولُّ يَقوم على عائلات تحالفت تاريخياً مع بريطانيا ووريثتها الولايات المتحدة - معاقل الديمقر اطية في العالم الغربي - ولم يحكمُها الجيش، ومع هذا فان الديمقر اطيـة لـم تتحقق، وفي دول الخليج فإن مصطلح الدِيمقر اطيـة لم يدخل قواميسها بعد. هذا المثال يفضح زيف الهجمة على الجيوش بحجة الديمقر اطية، ومن الملاحظ أن عِرابي ديمقراطية التمثيل وشرعية صندوق الانتخاب لا يعنيهم من الموضوع إلا الشكل أما الُجوهر حُتى لو كان مجوفاً فليس مهماً، على سند من القول أن الديمقر اطيـة تتطـور وتنمـو كالكائـن الحـي، وأن العجلـة حيـن تبـدأ بالـدور ان لـن تتوقف حاملـة معها الغث والسمين.

ومن الذرائع الرائجـة فـي تسـويغ إبعـاد الجيـوش عـن السياسـة ذريعـة الاحتـراف، والتفـرغ للأهـداف المنوطـة بالجيـوش والانكفاء إلى الثكنات، وهذا حق يراد بـه باطل لتسويغ وقوف الجيش على الحيـاد في أي مواجهـة مـع القوى الملونـة في إطار حروب الجيل الرابع، بحيث يُطلب من الجيش أن يقف موقف المتفرج على عمليات هدم الدولـة وإشاعة الفوضى باسم المطالبة بالحريـة والديمقر اطيـة وبعناويـن ثوريـة، علـي قاعـدة أنتـم لا علاقـة لكـم بالسياسـة والصـراع السياسـي. ونتذكر أن الحملة الشرسة التي تعرض لها الجيش العربي السوري ولا يـزال بحجـة وقوفـه ضـد "أمانـي الشـعب السوري بالديمقراطية والحرية٬٬ وأن يلتزم ثكناته ولا ينخرط في السياسة. فالاحتراف العسكري ينصرف إلى التدريب والجهوزية والخضوع للقيادة السياسية والبقاء على الحياد في السياسة، وتتغافل الدعاية المضادة أن هذا الجيش منذ الحركة التصحيحية أعيد بناؤه على أسس مهنية وترك السياسة فعلياً وانتقل إلى احتراف العمل العسكري وقد تجلى ذلك في حرب تشرين، ولكنه وإن ترك السياسة فإن ذلك لا يعني أنه لم يعد جيشاً عقائدياً مسيساً، ، و هذه السمات تثير



العدد رقم (64) صدر في 1 آبلول عام 2019 للميلاد

جنون الليبر اليين عموماً وأذناب الولايات المتحدة من صهاينة الإسلام السياسي.

الدعاية الرامية لعزل الجيش عن واقعه الوطني والقومي خنجرٌ مسمومٌ، وطعنةً في ظهر الوطن من أجل أن يعتلي السلطة شذاذ الآفاق ومرتزقة الولايات المتحدة أو إغراق الوطن في دوامة العنف العبثية، ويطلب منا أن نصدق أنّ الديمقر اطيـة تبنـي فـي سـياق الفو ضـي و تخنيـث الجيـوش.

نحـن مـع أن يهتـم الجيـش بـدوره المحـدد لـه فـي الدسـاتير وضمـن قاعـدة احتـكار القـوة، وأن يخضـع للقيـادة السياسـية، وشرطنا عليه للابتعاد عن السياسة يتم في سياق اكتمال بناء المشروع القومي، عندما يصبح الثمن للتدخل في شوؤننا العربية باهظاً بحيث ينشأ الردع تلِقائياً، حينها نطمئن إلى سلامة انكفّاء الجيش إلى ثكناته، ويصبح الصراع السياسي تحت سقف الوطن وفي حضن الأمة .

## تسويق مبكر للمليادرير المخرب "جورج سوروس".. على طريقة مصطفى محمود

#### السيد شبل

لعله لم يعد يخفى على أحد الدور التخريبي الذي مارسه رجل المال سليل العائلة اليهودية "جورج سوروس" في سياق الهجمة الربيعية على الوطن العربي التي تبلورت مع 2011، وذلك عبر عدد من المنظمات والجمعيات التي تتموّل منه، ويأتي على رأسها منظمة المجتمع المفتوح Open Society Foundations، كما مجموعة الأزمات الدولية (التَّي يشغل مدير الجزيرة السابق"وضاح خنفر" كرسياً في لجنتها التنفيذية يزامله عدد من قادة الكيان الصهيوني، وُمن قبل خنفر كان "محمد البرادعي" عضواً بها).

وقد أدّت منظومـة الهيئـات المرتبطـة بسـورس وأشـباهها (كمؤسسـات فـورد وروكفلـر.. إلـخ) دوراً مـن أبشـع مـا يكـون بدايـةً من تغيير أجندة العمل السياسي (المعارض!)، وتحويلها الأجندة متصالحة مع الإمبريالية ثم خادمة لها، وتلويث مفهوم العمل السياسي، أو بالأحرى الثوري، وتهميش قضايا التحرر الوطني والاجتماعي والتسخيف من المساعي الوحدوية، والاستعاضة غن المطالب النضالية الحقيقية بمطاليب غائمة متميّعة تتخفى حول مشروعات تعنى بالسلبيات الجزئية ليس لإصلاحها، وإنما لاتخاذها وسيلة لتهميش الكليات، أي القضايا القومية والمعيشية الجادة، ثم تمد تلك المؤسسات الخيط، وكما هو مُبيّت من البداية، للعمل على تحقيق أهذاف برامج العولمة (والتي ليست في حقيقتها سوى غربنة وانتصار للرجل الغربي عبر تمكينه من حكم العالم).

كما تتمركز برامج عمل تلك المؤسسات حول معادة النواة الصلبة للدول أي الجيوش الوطنية، ولا تجد غضاضة في - تقديم المبرر ات الحقوقية لــ التجالف مع القوى المتطرفة الوهابية القطبية، وتدعم كلَ ما من شأنه تسهيل التفكك الوطني على المستويين السياسي أو الاجتماعي، كما ليس مجهولاً الدور الذي مارسه سوروس في وقتٍ سابق في إجهاض تجارب اقتصادية لدول آسيوية عبر التلاعب في البور صات العالمية (وقد استفاض كثيرون في الإشارة إلى

أما الشيء العجيب الذي تم القفرِ عليه في سيرة هذا الرجل، هو الدور الذي لعبه كترس في ماكينة عمل غربية استهدفت تفكيك يوغوسلافيا سابقاً، وشملت معه أسماءً عدة نذكر منها، الصهيوني الفرنسي/ برتار هنري ليفي (نعم، هو نفسه صاحب الدور التخريبي في ليبيا وسورية) والأمريكي صاحب الدور اللاحِق في تخريب العراق/ ريتشار'د بيرل. وقد تمت مهمة التفكيك أولا عبر دعم انفصال كرواتيا وسلوفينيا ثم ثانيا من خلال مساندة "علي عزت بيجوفيتش" (ابن مدرسة الإخوان الفكرية بل والتنظيمية)، ثم تتالت فصول المؤامرة.

وقد تلاقى الدعم السوروسي، الذي شمل المال وعلى ما يبدو السلاح، في الفصل البوسني من رواية التفكيك مع أعضاء تنظيمات سلفية ممولة خليجياً ومحرّضة أمريكياً توجهت إلى هناك لدعم الحرب، ورفع راية الدين، بينما هي لم تكن ترفع سواء الراية الأمريكية، بالضبط كما حدث في أفغانستان خلال الثمانينيات.



العدد رقم ( 64) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد

unich Security MS6

وكانت عواصم غرب أوروبا قد حرضت "بيجوفيتش" على الانفصال، الذي تم بناءً على استفتاء في آذار/ مارس 1992 شارك فيه البوشناق والكروات (وكان بيل كلينتون حمامة السلام للتوفيق بين الطرفين!) وقاطعه الصرب من أبناء البوسنة، وكانت النتيجة المعروفة لهذا التوجه هو اندلاع شرارة الحرب التي يخسر فيها الجميع، ويموت فيها الكل. وهذا ما كان إلى أن انتهى الوضع بتدخل حلف الناتو في 1995 ضد جيش صرب البوسنة المدعوم من الجيش الاتحادي، وفرض الانفصال مع تسويات.

أما الأعجب (وربما المنطقي؟) أن دور جورج سوروس قد ورد بالتفصيل، وطبعاً مع إشادة وتهليل وتصفيق، وصل اللي حد اعتباره "رجل بمليون رجل"، وذلك في كتاب أحد رموز عصر أنور السادات باقتدار، وهو "مصطفى محمود". والكتاب هو "الإسلام في خندق".

وفي الفقرات المخصصة لسوروس في الكتاب يجتهد "محمود" لكيل المدح له، بسبب دعمه وتمويله للطرف البوسني في الحرب، بل ويعقد مقارنة عجيبة لإظهار مبدى "إنسانية الرجل ورحمته" في مقابل الدول ذات

الأغلبية المسلمة والتي لا تدعم بما يكّفي المشروع الأمريكي التفكيكي، والذي بدأ أساساً بتحريض "الكاثوليك" في سلوفينيا وكرواتيا ضد "الأرثوذوكس" الصرب، وبرعاية من البابا يوحنا بولس (جون بول) الثاني!

وهذا يعني أن المتأسلمين فيما بعد احتلال العراق والذين قبلوا التعاون مع مؤسسات سوروس الحقوقية المزعومة كانوا جاهزين لهذا الدور من وقت سابق، ويعرفون من هو "سوروس" عبر كتابات مصطفى محمود الذي يحظى بالاهتمام الشديد من جانبهم، بل سوروس عندهم، وبحسب ما أوحى لهم مصطفى محمود، حمامة تبيض سلاماً ومحبة على البشر، ومثل يُستخدم لإحراج الدول المسلمة المتقاعسة عن دعم الجهاد (كذا!).

بل والأدهى أن مصطفى محمود أشاد بتشبيه سوروس للمسلمين في البوسنة باليهود الذين تعرضوا لهجمة نازية، مؤكداً وداعماً الرواية الصهيونية في توظيف ''جرائم النازية' لصالحهم، عبر الادعاء أو الإيهام بأن النازية كانت موجهة ضدهم هم فقط أو بالأساس، أو أن لموتهم فرادة (!)، أو أنهم قضوا في ''غرف غاز '' مزعومة، أو أنهم تعرضوا لحملة إبادة، ومضخمة إلى حد الكذب الصريح في أعداد قتلاهم في الحرب العالمية الثانية، ومستخدمة كل ما سبق لجلب الدعم لـ''إسرائيل''. بينما تم تهميش ذكر عشرات الملايين من الروس والصينيين الذين ماتوا خلال الحرب العالمية الثانية على يد دول المحور.

على أية حال ليس فيما كتبه مصطفى محمود مفاجأة، وهو ربيب عصر السادات بامتياز، وقد ركز في كل كتبه على مهاجمة كل المكاسب الاجتماعية التي حاز عليها الشعب في الخمسينيات والستينيات، وعارض القطاع العام وذمّ مجانية التعليم، وأدان الصداقة مع الكتلة الشرقية، وعارض القومية العربية، وحشد كل "خرافة" من أجل الإساءة للاتحاد السوفيتي والاشتراكية، وكان محمود قد بدأ برنامجه الشهير "العلم والإيمان" والذي استمر لمدة 28 عامًا في التلفزيون الرسمي (تصوّر هناك من يعتبره معارضاً!)، في عام الانقلاب على رجال جمال عبد الناصر، أي في عام الانوريون الرسمي التقطه السادات للعب هذا الدور، بالتنسيق مع عبد المنعم الصاوي وزير إعلامه، بعد أن مدحه مدحاً صريحاً في مقالة بمجلة روز اليوسف، قال فيها محمود موجهاً كلامه السادات: "أنت زعيم وليس بعدك زعيم، فأنت رجل العلم والإيمان"، وهذا المقال موجود بالأرشيف، ومؤكد بشهادة إبراهيم عكاشة، وهو مخرج البرنامج وصديق مصطفى محمود. وقد اعتمد البرنامج لاحقاً على تمويل من أحد رجال الأعمال والمنتجين المرتبطين بدول خليجية.



العدد رقم (64) صدر في 1 اللول عام 2019 للميلاد

هذا السرد لا يستهدف الفضح، بقدر ما يستهدف، أولاً، تعويم معلومة قد تكون غابت أو هُمشت، رغم الحيز الضخم الذي احتلته المقالات التي تناولت "سوروس" وأدواره منذ 2011، ثانياً، التأكيد أن ما يجري اليوم من لبرلة الإسلاماويين، إن جاز التعبير، ومبادرتهم للتنسيق والتموّل من منظمات وهيئات غربية، ليس مفاجأة بل هو أمر مهندس من زمن، بل ويحمل بنيته التحتية الدعائية.

#### صناعة الماضى وتخيله كمعزز ثقافى تاريخي للهويات المتخيلة (الجزء الأول)

#### فارس سعادة

قدم أندرسون بنديكت (Benedict Anderson)، في كتابه الجماعات المتخيلة (Imagined Communities)، الأمم والقوميات على أنها جماعات متخيلة وإن كانت هذه الجماعات تمتلك كياناً سياسياً ولغة وتاريخاً مشتركاً أو كانت ضليعة بالممارسة السياسية والإنتاج الثقافي والتاريخي فعرف الأمة بأنها: "جماعة سياسية متخيلة، حيث يشمل التخيل أنها محددة وسيدة أصلاً" (أندرسن 2009: 52). إذ يُنتج الخيال بالمعنى الإيجابي شيئاً مادياً ملموساً على سطح الأرض، على اعتبار أن الخيال يقصد به فكرة ما في عقل الإنسان أو مجموعة من الأفكار التي لا توجد على أرض الواقع في البداية وإنما تتجلى وتصبح واقعاً بعد الممارسة العملية والعمل الإنساني لتصبح واقعاً ملموساً.

لم يكن أندرسون وحده من كبار منظري القومية في الغرب ممن يرفضون فكرة تاريخانية القومية في التاريخ البشري بل إن غالبية هؤلاء المفكرين الحداثيين وما بعد الحداثيين رفضوا فكرة القومية كأساس تاريخي وثقافي واقتصادي سياسي ومن أشهرهم كان إرنست غيلنر (Eric Hobsbawm) وإريك هوبزباوم (Eric Hobsbawm)، وجميعهم رفضوا فكرة أن القومية هي حقيقة إجتماعية تاريخية أي موجودة منذ القدم.

يشترك إذاً الكثير من منظري القومية الحداثيين في أن الأمم تشكلت حديثاً، وبالتالي أن فكرة القومية لم تكن موجودة بالشكل السياسي الواضح المتجذر سياسياً وثقافياً، وهم بذلك يصرون على ربط الأمم بالحداثة وهي فترة تاريخية معينة ارتبطت مع التوسع الإمبريالي أي أنها أصبحت تحمل خصوصية تاريخية حداثية محددة (سميث 2012: 36)، رغم أن التاريخ القديم للكثير من الشعوب والأمم يعكس حقائق أخرى تثبت أن الوجود السياسي لأمة ما كان حاضراً على كافة المستويات وتحديداً السياسي منها، فالدولة العربية الإسلامية كانت تحمل صفة عربية في تاريخها الأول وقد ذكر الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" أن "دولة بني العباس أعجمية خراسانية، ودولة بني مروان أموية عربية (الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" أن "دولة بني العباس أعجمية خراسانية، ودولة بني مروان أموية عربية الإالمحنى القومي ظاهر في تلك الفترة بشكل واضح، إن لم يكن الأساس في الصراع القائم على كثير من المستويات في تلك الفترة (الدوري 2006: 51).

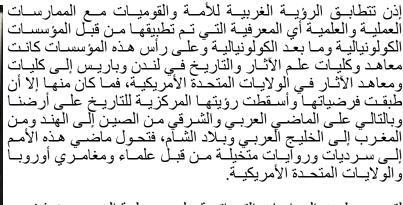
إن مثل هذا التصور الحداثي للأمم ربما لا يخرج عن المركزية الأوروبية التي ظهرت بشكل واضح في الممارسات السياسية الكولونيالية للاستعمار الأوروبي في "الشرق" عبر توظيفه للمعرفة لرسم هويات متعددة لكل أرض يسيطر عليها أو حتى يتم تغير ها بحسب مصلحته الكولونيالية فهو يوظف العلوم لأهداف كولونيالية كعلم رسم الخرائط (Abu) عليها أو حتى يتم تغير ها بحسب مصلحته الكولونيالية فهو يوظف العلوم لأهداف كولونيالية كعلم رسم الخرائط (El- Haj 2001: 23)، التي لها ارتباط وثيق بصنع الدول وترسيم حدودها وهي تحت السيطرة الكولونيالية.

ارتكز بناء الدول وترسيم حدودها في جزء منه على السرديات التاريخية في حالات كثيرة كما في فلسطين في فترة الاحتلال البريطاني، كما أوضحت ناديا أبو الحاج أن هذا الترسيم للحدود ورسم الخرائط كان قائماً على علوم مرتبطة بالمؤسسة الكولونيالية بشكل واضح من خلال عملية مسح فلسطين التي استخدمت سرديات معينة وربطتها فيما بعد بجغرافيا "فلسطين الجديدة" (Abu El- Haj 2001: 23-26).

إطلاق صفة أمة أو قومية على أي جماعة من قِبل الآخر أي الأجنبي أو المستعمر، ووضعُها ضمن حدود جغرافية وسياسية مرسومة ومحددة من قبل الكولونيالية يعطل الكثير من الحقائق والعوامل التاريخية والسياسية لصالح كولونيالي يفكك البنى القائمة والمستقرة غالباً قبل الفترة الكولونيالية والسيطرة الاستعمارية، التي أعادت إنتاج أو أنتجت أمماً وقوميات وبالتالي دولاً جديدة، بحسب رؤيتها هي التي ترتبط بمصالحها المفترضة.



العدد رقم ( 64) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد





لقـد سـيطرت الروايــات التوراتيــة علــي مخيلــة الغــرب منــذ فجــر العصور الوسطى وأصبحت سرديات مركزية في تاريخ العالم و تحديداً «الشـرق» لـدى الأفـراد الغربييـن وفـي عقولهـم، ومـن أ اصبح ما يعرِف «بالاستشراق» أداة الغرب لوصف «الأخر» أي كل ما هو غير اوروبي، واصبحت شعوب الاراضي الجديدة «فئران تجارب» تطبق عليهم نظريات علم الإنسان أو ««الأنثروبولوجيا» وأصبح تاريخ هذه الشعوب ومن بينها الشعب العربي حبرا على ورق عَلماء الغرب ومنظريهم داخل أروقة المعاهد التوراتية و الاستشر اقية.

فعلم الأثبار كأحد أهم العلوم الإنسانية والذي يستمد معارفه من أغلب العلوم الإنسانية والإجتماعية وجد وتطوّر غِربياً في القارة الأوروبية، ومن ثم طُبق خارج القارة من قبل الغرب، أي أن المِنهجيات العلمية الخاصة بعلم الأثار طَبِقت على الأثبار المادية وغير المادية والترآث المآدي وغير المادي لشعوب أخرى وعلى أراضٍ بعيدة عن القارة الأوروبية، وبالتالي فقد كانت النتائج تتطابق مع المخيلة والمصادر التاريخية للغرب بالضرورة، ومثـال ذلـك هو كمـا ذكر أعلاه عملية المسح التي قام بها مركز صندوق استكشاف فلسطين الصهيوني وموقعه مدينة لندن، هذا المسح الذي شمل كل أرض فلسطين المحتّلة والكثير من مناطق تقع حالياً في لبنان والأردن، وقد أمند العمل منذ العام 1871 إلى غايـة 1877، وقد بدأ نشر نتائج المسح والمعلومات والخرائط عـام 1881.

أعتمدت عملية المسح على معرفة تاريخية مسبقة لدى الغرب، أغلب هذه المعرفة دينية الطابع، مأخوذة من كتاب التوراة وبعض الكتابآت العبرية القديمة لدى كهنة اليهود في أوروبا، وبعض التأريخ المسيحي لديهم، وكتب وقصص الرحالة الأوروبيين والحجاج المسيحيين الذين قدموا إلى "السرق" عموماً، ولذلك كانت عملية المسح تعمد إلى إطلاق أسماء على الأشكال الجغرافية والتضاريس والآثار القديمة بحسب تطابقها مع الروايات التوراتية شكلًا، فبحسب شكل الجبل وموقعه وتطابقه مع الوصف التوراتي يتم إطلاق الإسم وهكذا ...وهذا ما أدى إلى ظهور أسماء توراتية كثيرة داخُل فلسطين لم يكن لها أساس حقيقي قبل عملية المسح.

الهيمنة الغربية على المنطقة العربية وتحديداً في منتصف القرن التاسع عشر وصولاً إلى القرن العشرين وتفوقهم التكنولوجي وسيطرتهم على المعرفة بشكل كبير في تلك الفترة سمح لهم بالسيطرة على الماضي، وذلك لتنفيذ مصالحهم المستقبلية في الوطن العربي، ولكن كيف سيطروا على المأضي؟

إن صناعـة الماضـي عبـر إعـادة در اسـته ممكنـة وواقعيـة، و هـي خلافـأ لإعـادة إنتاجـه أو محاولـة إعـادة الإنتـاج بحسـب المعلومات المتوفرة والتي يوفرها علم الاثار والوثائق التاريخيـة وغيرها من علوم مساعدة، إذ ان إعـادة الإنتـاج بشكلِ علمي رصين تنتج تكهنات ونظريات أو فرضيات علمية وتوقعات حول ماهية الماضيي وشكله والكيفية التي عاش فيهآ الإنساَّنُ والمجتمع...إلخ، وقُد يتُوصل بعض العلماء والباحثين إلى ''حقيقة'' الماضيَّ بشكل دقيق عبر المَّادة الأثرية والوثائق التاريخيَّة، أماً صناعة الماضي بحسب ما نقصده هنا فهي صناعة تاريخ جديَّد متخيل مختلق مِن خلال تحليل ووصىف المعلومات الأثرية والتاريخية وانتقائها بحسب وجهة نظر وأيديولوجيا معينة ومحددة وذلك لأهداف مستقبلية



العدد رقم (64) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد

محددة أيضِاً لضمان المصلحة الكولونيالية في منطقتنا العربية في المستقبل، ولذلك يتم تحدد ماهية الماضي بحسب المناهج الأثرية والتاريخية المنتقاة لكي يتم تُحديد شكله -أي الماضي- في المستقبل بحيث يتناسب هذا الشكل من الماضكي والتاريخ مع المصالح الكولونيّاليـة.

هذا الإنتاج المعرفي الذي تم إنتاجه في ظل غياب سلطة الشعوب على أرضها ونفسها، وفي ظل غياب دور لأي مؤسسًات وطنية وقوَّمية تخالباً في الوطنَّ العربي وغيره من البلدان إلتِيُّ تعرضت للسيطرة الكُّولونيالية أي الأحتلال إلغربي عليها، يضع هذا الإنتاج تجت مجهر النقد والتحليل، خصوصاً أن القائمين على هذه الدر اسات التاريخية والتي أصابتَ كل مناحي الحياة الماضيّة للشعوب من حياة إجتماعية وثقافية ودينية وتراث وغيره، هم في غالبيتهم موظفونّ لدى مؤسسات الاحتىلال الأوروبي أو أنهم ممولون من قبل جمعيات ومؤسسات ومعاهد مرتبطة بالمصالح الكولونيالية وعلى رأسها المعاهد التوراتية قَي الغرب والتَّي أرسلت مئات إن لم يكن آلاف البعثات البحثية والاستكشافية إلى المشرق العربي تحديداً.

أما عن الكيفية التي تم فيها إستخدام هذا الإنتاج الكبير جداً في مجالات الأثار والتاريخ والأنثروبولوجيا فقد وجه نحو تثبيت سرديات تاريخية مختلفة بشكل "علمي" وخلط الكثير من المسميات "التاريخية" بطابع زماني ومكاني أي أعطَّاها "مصداِّقية" علمية وتاريخية عن طريق ربطٍ ها بشكل إعتباطي غالباً بالتضاريس التي كان مطَّلوباً لها أن تحملًا مسميات معينة، لكي تبرر سردية ما سيتم مستقبلاً تبنيها كتاريخ حقيقًي.

وللحديث بقية في الجزء الثاني...

المراجع:

1. أندرسن، بندكيت. 2009: الجماعات المتخيلة تأملات في أصل القومية وانتشارها، ترجمة ثائر ديب، شرطة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت،

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين، حققه وشرحه حسن السندوبي، ط2، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1932)، ج3.
أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين، حققه وشرحه حسن السندوبي، ط2، (القاهرة: المكتبة التجارية) مركز دراسات الوحدة العربية،

. 4. سميث، أنتوني. ترجمة: صفية مختار. 2012. الأسس الثقافية للأمم، الهرمية والعهد والجمهورية. مؤسسة هنداوي: المملكة المتحدة.

Abu El- Haj, Nadia. 2001. Facts On The Ground Archaeological Practice and Territorial Self- Fashioning in Israeli .5 .Society. The University of Chicago: USA



العدد رقم ( 64) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد

#### الإسلام السياسي كوجه آخر لمشروع التفكيك المجتمعي والسياسي

#### كريمة الروبى



لا شك في أن وجود داعش ومثيلاتها لم يكن بهدف هدم الدول العربية التي لا ترضي الولايات المتحدة عن قادتها وتوجهاتها وتقتيت الأمة العربية فحسب، بل يتسع دور ها ويصبح أهم فِي استهداف القوي الصاعدة الذي تناطح الإمبريالية الأمريكية

كروسيا والصين للقيام بذات الدور التخريبي وإشغالهم وتعطيل مشاريعهم الرامية لإيقاف غطرسة الغرب الساعي

قد تسعى بعض الأنظمة العربية لإنهاء أي وجود لتنظيمات دبنية سياسية على أرضها، إلا أنها تصطدم بالقرار الغربي الذي يعطل هذه الجهود، فتلك الأنظمة تابعة للغرب بصورة أو بأخرى وبنسب متفاوتـة أو أنهـا تخشـي المّواجهـة فتخضـعٌ لتهديدات ورغبات خارجية بعدم التعامل مع هذه التيارات بالشدة والحزم الذي من شأنه القضاء نهائياً على تواجدهاً، فهي في النهاية تشكل ورقة ضغط غربية كُلُما أرادت دولة الانفلات من الهيمنّة تلقّت ضربة من هذه التنظيمات سواء بإشعال الفتن وإثـارة الجماهيـر أو بعمليـات إر هابيـة تضعف سيطرة الدولـة وتظهـر عجزهـا، وهـو مـا ينسـجم فـي النهايـة مُع مشروع العولمة في تفكيك الدول المركزية حتى تلك التابعة للإمبريالية.

فإذا كانت منظمات "المجتمع المدني" الممولة أجنبياً هي القوة الناعمة التي تستعملها الإمبريالية لتفكيك الدول والمجتمعات والحركات الوطنية، فإن الحركات الدينية، لا سيما العنيَّفة والتكفيرية منها، هي الجناح الخشن من تلك القوة الناعمة، لأنها تعمل على تقويـض الـدول ومحاربـة الِجيـوش الوطنيـة، وشـق المجتمعـات، وإثـارّة بـذور الفتـن والحـروب الأهليـة فيها، والأهم تغييب الوعي الجماهيري بعيداً عن أي حراك وطني أو قومي حقيقي.

إن قوى الاستعمار لن تجد أفضل من تلك التنظيمات لتنفيذ أجنداتها وأهدافها، فليس هناك ما هو أخطر على أمة من عقليات لا تسعى للتطور والنهوض بل تقف عائقاً أمامهما مما يسهل السيطرة عليها.

إن أكبـر دِليـل علـي الرضـا الغربـي عنهم هـو امتـلاء الفضـاء الإلكترونـي بصفحاتهم التـي تحـض علـي الكراهيـة والعنـف من دون أن يتم حظر ها بل تراهاً تنتشر بشكل كبير لتظهر أفكار هم ومواقعهم على محركات البحث كاقتراحات أولى،



بينما الأفكار المناهضة للغرب والداعية للعروبة والاستقلال والمقاومة يتم محاربتها ولا يُسمح بانتشارها ولا تظهر على محركات البحث ويتم حظر صفحات وحسابات أصحابها، أليس هذا دعماً واضحاً لا شك فيه لتلك الأفكار المتطرفة من قبل الغرب؟

لسنا هنا في حاجة للتأكيد على تبعية تلك التنظيمات للغرب، فالتاريخ والحاضر يرصدان ويؤكدان على هذه الحقيقة، ولكننا في حاجة لمواجهتها وهو ليس بالأمر الهيّن، فهم يمتلكون من الإمكانيات والدعم والمساندة الخارجية ما يجعل مواجهتهم أمراً صعباً ولكنه ليس بمستحيل إذا أخذنا في الاعتبار أننا أصحاب قضية عادلة وفي صالح الأغلبية من الشعوب المقهورة وأن حربنا على تنظيمات الإسلام السياسي هي جزء من مواجهة الإمبريالية وأنها معركة واحدة لا تتجزأ. فالسعي لبناء مجتمع حر يحيا أفراده بأمان ويتمتعون بكامل حقوقهم سيصطدم بالضرورة بالغرب وتابعيه من تظيمات تكفيرية معادية للحياة.

إن قضية الاستقلال الوطني لا تنفصل عن السعي لبناء مجتمع يتمتع فيه أفراده بحياة مستقرة وسعيدة، بل إن هذا هو صلب وهدف الاستقلال، والفدائي الحقيقي هو من يضحي بالحياة التي يحبها ويتمنى أن يحياها لا من يكره الحياة ويتمنى التخلص منها، فهو يحب الحياة ولكن وطنه وقضيته أهم وأغلى، فالتضحية لا يمكن أن تكون كذلك إن لم تكن بكل ما هو غالٍ من أجل ما هو أغلى، فإن لم يكن للحياة قيمة فلا معنى للتضحية بها.

أما من يتمنون الموت ويقبلون عليه حباً فيه وهرباً من الحياة ظناً منهم أن الموت في حد ذاته غاية، فهم مجرد مرضى لا يعرفون معنى الفداء لأنهم لا يدركون ولا يشعرون بمعنى الحياة.

#### الصفحة الثقافية: نظرة على المسرح السياسي العربي

#### طالب جميل

منذ أن عرف الإنسان المسرح كان الهم السياسي هاجساً لدى جميع المسرحيين كونه يلامس هموم الناس ومشاكلهم وحياتهم، ولم يغب الحديث في الشأن السياسي عن خشبة المسرح مطلقاً على الرغم من اختلاف مساحة الموضوع وطريقة تناوله والرسائل المطلوب إيصالها وطرق التعيير عنها. وعلى مسارح الإغريق كان يتم تداول أزمات أثينا السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتُطرح مواضيع تنتقد الحرب والاستغلال والفساد وتدعو إلى الثورة على ظلم الألهة والبشر.

في العصر الحديث برز المسرح السياسي في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى التي جاءت بالتزامن مع انهيار النظم الدينية والعسكرية الاستعمارية ودخول عصر الصناعة والتكنولوجيا، وأصبح هذا المسرح فنا له خصوصية ورؤية إخراجية ومادة مغايرة، وأخذ شكلا فنياً جديداً بدأ يدخل ميدان التأليف المسرحي من خلال انتقاد الشخصيات الحاكمة وبرامج الحكومات والدعوة إلى نصرة قطاعات الشعب الفقيرة وبدأ الحديث عن الاستعمار والحروب والانتصار لقوى الثورة والتغيير، ودعم حركات التحرر في بلدان أخرى وتعزيز فلسفة الحرية الرافضة للحرب كرد فعل مباشر ضد الرأسمالية والاستعمار.





العدد رقم ( 64 ) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد

ورغم الجدل الكبير بيِن كثيرٍ من النقاد حول تعريف وفلسفة المسرِح السياسي إلا أنبه يمكن اعتباره ببساطة مسرحاً يحمل مضموناً سياسياً يمكن التعبير عنه بعدة وسائل ويسعى إلى التأثير الإيجابي في الجماهير، ويهتم ويعاين ويحرض وينتقد القضايا اليومية والأحداث السياسية بطرق وأدوات وتعابير مختلفة، وليس بالضرورة أِن يطرح قضية سياسية مجردة بـل يمكن تسييس الأحداث العاديـة واليوميـة مـن خلالـه ويمكـن أن يقدم بشكل تراجيـدي أو كوميـدي.

يُعـد المخـرج الألمانـي (بسكاتور) أحـد مؤسسـي المسـرح السياسـي الحديـث فـي العالـم ورواده خــلال القـرن العشـرين وقـد سـاهم فـي تطويـر أشـكال جُديـدة للمسـرح المعاصـِر، ولا يمكـنّ الحديـث عـنّ المسـرْحُ السياسـي دون المرور علـي تجربته وأرائه وفلسفته في هذا المجال، والذي أكد أهمية ارتباط المسرح السياسي بحركة وتحركات طبقة العمال والكادحيـن والمواطنيـن العادييـن مـن أجـل إتاحـة حيـاة كريمـة تضمـن لهـم حقوقهـم المهنيـة والسياسـية والاقتصاديـة، وقـد ركز اهتمامه نحو الشكل الفني للعرض المسرحي الذي اتسم بالمباشرة في استعراض الظروف التاريخية والاجتماعية وجعل الأحداث على خشبة المسرح حقيقة منطقية مرتبطة بالأحداث التاريخية الماضية كما برع في استخدامه للتقنية الحديثة في المسرح حيث كانت وسيلة لتوسيع مجال الحدث وربطه بالظروف التاريخية.

عربيـا يمكن الحديث عن المنجـز المسـرحي فـي مجـال الأعمـال السياسـية فـي النصـف الثانـي مـن القـرن العشـرين، وكان للحرب واحتلال فلسطين عام 1948 ولحرب عام 1967 الدور الأكبر في تحريك قريحة كثير من المبدعين والمتشغلين بالمسرح لتقديم أعمال تناقش قضايا سياسية تـارةً، من خـلال الاتـكاء علـي التـراث العربـي والحكايات الشعبية والأسـاطير، ومن خلال ترجمة بعض النصوص العالمية المشهورة ومحاولة إسقاطها على الواقع العربي تارةً أخرى، أو من خلال معاينة التحولات السياسية والأحداث الراهنة وقضايا مثل الصيراع الطبقي والحرية والديمقر اطية، لكن قضية احتلال فلسطين وصراعنا كعرب مع الصهاينة ظلت تحتل المساحة الأكبر في الأعمال المسرحية السياسية.

ولعل تجربة الكاتِب المسرحي السوري (سعد الله ونوس) تعتبر من أكثر التجارب اللافتة وأفضلها، حيث حاول صناعة مسرح ذي هوية عربية من حيث الشكل والمضمون، وقد استند في كثير من تجاربه على التراث والتاريخ العربي وعكس ذلك في كثير من تجاربه على التراث والتاريخ العربي وعكس ذلك في كثير من أعماله مثل (الملك هو الملك، الفيل يا ملك الزمان، مغامرة رأس المملوك جابر، حفلة سمر من أجل 5 حزيران).

أما تجربة (مسرح الشوك) الذي أسسه (عمر حجو) في سورية فكانت تجربة فريدة على المستوى السياسي وساهمت في إضَّافة كمسنة مهمة على المسرح السياسي العربي من خيلال تقديم أعمال تتناول الهم الوطني والقومي بشكل كوميدي بسيط، رغم اعتمادها في كثير من الأحيان على نجومية (دريد لحام) وقدرته على تقديم الأدوار الكوميدية ذات الطابع السياسي. وبعدها ظهرت (فرقة تشرين) الذي أسسها (دريد لحام ونهاد قلعي) وقدمت أعمالاً كبيرة بمضامين سياسيةٍ مهمةٍ ذّاعٌ صيتها مثلُ (ضَيعة تشرين، غربة، كاسك يا وطن) كانت تتناوّل الواقع العربي وهموم ومشاكل المواطن العربي، وهنا لا بد من التذكير بدور الشاعر والكاتب (محمد ألماغوط) في كتابة كَثير من الأعمال السياسية المسرحية التي قدمت من خلال (مسرح الشوك) أو (فرقة تشرين).

كما شكلت تجربة (فرقة بلالين) للمخرج الفلسطيني (فرانسوا أبو سالم) ظاهرة متميزة في عالم المسرح السياسي الفلسطيني من خلال تقديم هموم المواطن الفلسطيني ومعاناته تحبّ الاحتلال الصهيوني، وكانت له محاولة في تقديم مسـرح فلسـطيني مقـاوم مـن خــلال (فرقـية مسـرح الحكواتــي) التــي أسســها لاحقــا، وِفــي إلجزائــر شــهدت مرحلــة مــا بعــد الاستقلال ولادة مسرحيين مرموقين وكتّاب مهمين مثل (كاتب ياسين) قدموا أعماً لأ مسرحية عبرت عن القضايا المرتبطة بالواقع السياسي والاجتماعي وقضية التحرر الوطني.

كما شكلت بعض التجارب المسرحية في بعض الدول العربية علامة فارقة في المسرح السياسي حيث قُدم من خلالها مسرحٌ سياسيٌ بطابع كوميدي ترك أثراً كبيراً في نفوس الجماهير، ومن هذه التجارب مسرح (محمد صبحي) في مصر، ومسرح (زياد الرحباني) في لبنان، ومسرح (عبد الحسين عبد الرضا) في الكويت، ومسرح (موسى حجازين) في الأردن.



العدد رقم (64) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد

ورغم التجارب المسرحية الجيدة في هذا المجال إلا أن بعضها ذهب باتجاه آخر أدى إلى التقليل من قيمة وأهمية المنجز المسرحي السياسي من خلال تقديم أعمال تعتمد بالدرجة الأولى على السخرية من بعض الشخصيات الوطنية والقومية العربية، والتقليل من قيمة إنجازاتها على المستويين المحلي والعربي ومن دورها في محاربة الإمبريالية والتصدي للمشروع الصهيوني، وتضخيم بعض عيوب وإخفاقات بعضَ الأنظمـةُ العربيـة الوطنيـةُ والتركيـز عليهـا بشكل سطحي ساذج، إضافة إلى انخراط بعض المسرحيين في تقديم أعمال تسخر من تاريخنا وحضارتنا كعرب وتشوه فكرة الوحدة العربية وتسيء لقوميتنا العربية بشكل يسيء للثوابت الوطنية وبطريقة هدفها التهريج والسخرية والإضحاك، كما كانت تصور الغرب بصورة مثالية وجميلة تفوق الواقع، مما ادى بشكل او باخر إلى ظهور فئة من المسرحيين العرب الذين إنخرطوا بعملية التطبيع مع العدو الصهيوني من خلال قيامهم بزيارة الكيان الصهيوني أو (الأراضي المحتلة) لتقديم أعمالهم أو للترويج لمشاريعهم المسرحية مثل هشام يانس ونبيل صوالحة من الأردن، والكاتب المسرحي علي سالم

لقد تراجع المسرح السِياسي في الوطن العربي في السنوات الأخيرة بشكل ملحوظ، ولعل أبرز الأسباب التي أدت إلى تراجعه هو الرقابة على النصوص وعدم منح المسرحيين المساحة الكافية من الحرية لتقديم أفكارهم بحرية ووضوح، والتدخل بالنص المسرحي بشكل يقلص من جودة العمل ويؤدي إلى تسطيحه، لأن نجاح العمل المسرحي السياسي يعتمد بالدرجة الأولى على حرية التعبير بطرح القضايا السياسية.

ولأن المسرح كان دائماً مدافعاً عن قيم الحِب والخير والكرامة والحرية، ولأنه يشكل دافعاً من دوافع التقدم والنهضةِ والرَّقي، فلاُّ بد أن يجمل في طياتُه دائماً رِسالَة الانتماء والتضِّية والمقاوِّمة وحب الوطن، ولا بد أن يكون مناصراً لقضايـًا الأمـة ومدافعـاً عن قوّميتنـا، ومعبـراً عن حالـة الرفض لكافـة أشكال التواطـؤ والتخـاذل مـع أعـداء الأمـة.



العدد رقم ( 64) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد

### قصيدة العدد: "سأظل أفخر أننى عربى" لجوزيف حرب

سأظل أفخر أننى عربي وأخوض معركتي القديمة من جديد قاهراً هُبلا، قريباً من أبي ذرّ، رفيقاً من رفاق الزنج منتصراً لسيفي الغرمي والقرمطي ومقاوماً في الأرض حكاماً ملابسهم دم تاريخ أيديهم دمٌ وعصى شرطتِهم دمُ ودواة قاضيهم دمُ ودمُ وسائدِهم دمُ، أسواقُ باعتهم دمُ ملأى به كلُّ الملاعق، كلُّ زق في مجالسِهم دمُ يا شعبيَ العربي أفكلما حريةً صارَت بعمر الوردِ من دمِنا تزوجها خصى

> لو لم يبقَ من شعبي سوى وادٍ يظللُ ناقتًى بدوى سأظلُّ أفخرُ أنني عربي والله لو لم يبقَ إلا الوأد إلاّ كاهنّ للاتِ قالَ أنَّ عبدالله ليسَ نبي سأظلُّ أفخر أنني عربي لوكان ميراثي خناجر قاتلي عمر وعثمان ابن عفان وحمزة والإمام على سأظل أفخر أننى عربي ولو أن سفيان ابنَ حربِ ساقَ عام الهجرة المكيَّ مسبيا وشكَّت بنتُ عتبةَ سيفها في شهره القمري



العدد رقم (64) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد

سأظل أفخر أننى عربي لا ليبيا أغلى لدي من العراق ولا العراقُ أعز عنديَ من دمشقَ ولا دمشقُ أحب من مصر إليَّ وأننى ولد الجزائر وابن شطآن الخليج وأسود حجرى بمكة أحمرٌ حجَري بغزة، أبيضٌ حجَري على قبر المسيح وليس تونسٌ غيرُ أنى شاعرٌ متحدرٌ منها وما السودانُ إلا أرضُ أجدادي وأنيَ مغربي لم يزلْ رمحى الذي استقبلتُ موسى ابنَ نصيرِ فيه محفوراً عليه بخط كف امرأة تدعى ردينة، أصلى اليمنى والله ما لبنان إلا قامتي لو حز سيف عدو كم عنقى لما رسمَتْ دمائي في التراب سوى خريطة عالم يمتد من بحر الخليج إلى المحيطِ الأطلسي

جوزيف حرب (2014-1944)

ابن الجنوب اللبناني، تعلم في المدرسة الأنطونية، درس الأدب العربي والحقوق في الجامعة اللبنانية، مارس التعليم، وعمل في الإِذاعة اللبنانية، يعد من أبرز الشعراء العرب في العصر الحديث، غنت له فيروز العديد من قصائده، حَائزاً خـلال مسيرة حياتـه جوائـز وأوسمة، حيث نـال وسـام الاستحقاق السـورّي من الدرّجـة الممّتـازة تقديّراً لإبداعاته والتزامه بالخط القومي، ونال الجائزة الأولى لَـلأدب اللبناني من مجلسِ العمل اللبناني في الإمارات. صدر عام 1960 كتابه الأول "عذاري الهيآكل".



- له العديد من الدواوين الشعرية، منها:
  - شجرة الأكاسيا
  - مملكة الخبر والورد
    - الخصر والمزمار
- السيدة البيضاء في شهوتها الكحلية
  - زرتك قصب فليت ناي
- أُجمل ما في الأرض أن أبقى عليها



العدد رقم ( 64) صدر في 1 آيلول عام 2019 للميلاد

## رسم العدد



انتهى العدد